

سرعاته منذ ما يربو على عقدين، وكان عجز الموازنة قريبا من الصفر - وهما نتيجتان لم يراهما تحقيقهما إلا قليلون. ويقول مانويل إن «أحد أركان القيادة ... هو أنك يجب ألا تخشى أن تتبنى موقفا ما حيال بعض القضايا إذا كنت تقف على أرض صلبة». وقد استرشد بهذا الموقف طوال حياته العملية. وفي انتقاد صريح لما أطلق عليه «النظام القديم»، وضع مانويل مسألة أصوات اقتصادات الأسواق الصاعدة والاقتصادات النامية وتمثيلها بشكل مباشر ضمن جدول الأعمال الدولي، بصفته رئيس لجنة التنمية في البنك الدولي وبصفته رئيس اللجنة المعنية بإصلاح نظام الحوكمة في صندوق النقد الدولي.

وهو لا يزال ينادي ببيئة تقوم على تكافؤ الفرص، كمبعوث خاص للاتحاد الإفريقي معني بتصدي إفريقيا لجائحة كوفيد-19، بعد أن عمل وزيرا عضوا في مجلس الوزراء بقيادة أول أربعة رؤساء لجنوب إفريقيا الديمقراطية. وفي مقابلة مع أناليزا بالا من مجلة التمويل والتنمية، يتحدث مانويل عن كفاح جنوب إفريقيا والموارد اللازمة للتغلب على الجائحة في إفريقيا.

مجلة التمويل والتنمية: عندما كنت تشغل منصب وزير المالية طبقت إصلاحات صعبة في الموازنة وأشرفت في نهاية المطاف على أطول مرحلة من مراحل النمو الاقتصادي في جنوب إفريقيا. بم تنصح البلدان التي تواجه اختيارات صعبة؟

تريفور مانويل: لقد نص الدستور على المساواة الجماعية والفردية لأعضاء مجلس الوزراء أمام مجلس النواب. والموازنة تمثل تلك المسؤولية الجماعية، لذلك كانت مهمتي كوزير للمالية هي إقناع مجلس الوزراء بحاجتنا إلى تخفيض نسبة الدين إلى إجمالي الناتج المحلي. وأسسنا بعض اللجان الفنية في الخزنة ودعونا الوزارات الأخرى إلى توضيح احتياجاتها من النفقات ووضعنا إطارا للإنفاق متوسط الأجل لتحسين عملية التخطيط. وقبل يوم عرض الموازنة بعدة أشهر، كنا نضع بيانا عن سياسة الموازنة على الطاولة أمام البرلمان لكي نحدد حجم اعتمادات الإنفاق الذي يتماشى مع أولويات الحكومة. وكان النظام مصمما، إلى حد ما، ليجبرنا على العيش على قدر سعتنا - وكان هذا هو مصدر قوتنا. وكنا نستطيع أن نتفق على طريقة تسيير الأمور نظرا لرغبة الناس في القيام بدور في إرساء أركان الديمقراطية.

ولكن هذا الموقف لم يعد موجودا. فالعقد الذي مضى تحت رئاسة جاكوب زوما لم يكن «مفقودا» وحسب لأن كل شيء ظل ساكنا. بل تدهورت حالتنا. فكانت الخزنة تُعد قوية للغاية، فحاول الرئيس أن يقسمها. وأدى إضعافها إلى نتائج نعاني منها نحن اليوم. فقد ضعفت القدرة على تحصيل الضرائب ودمرت كفاءتنا الكلية على تخصيص الموارد بقدر



الصورة: COURTESY OF TREVOR MANUEL

الناس أولا

صاحب أطول مدة خدمة في منصب وزير مالية جنوب إفريقيا، تريفور مانويل، يستعرض خواتمه حول العقد الضائع في بلاده وتمويل مواجهة إفريقيا لجائحة كوفيد-19

عندما تخلى نظام الفصل العنصري عن السلطة

عقب أول انتخابات ديمقراطية في جنوب إفريقيا عام 1994، كان اقتصاد البلاد في حالة من الفوضى وعدم المساواة الشديد. وكانت تكاليف خدمة الدين كنسبة من إجمالي الناتج المحلي تقف حجر عثرة أمامه. وتريفور مانويل - الذي له باع طويل في مكافحة الفصل العنصري وعين حينئذ في منصب وزير المالية - اتخذ قرارا غاية في الصعوبة. فقام بتطوير عملية إعداد الموازنة ووضع هدفا صارما لتخفيض العجز. وبحلول عام 2006، كان الاقتصاد آخذا في النمو بأقصى

تريفور مانويل: لقد أوكلت إلينا نحن كمبعوثين مهمة التوصل إلى حل لما لا يزال يشكل خطرا جسيما - وهو ارتفاع تكاليف خدمة الدين. ومن الواضح أننا ينبغي أن نبدأ بصندوق النقد الدولي ومجموعة العشرين. فهكذا انطلقت مبادرة تعليق مدفوعات خدمة الدين. وبرغم الاتفاق على تأجيل سداد ما يزيد على ١٢ مليار دولار، لم يتجاوز ذلك حتى الآن ٥ مليارات دولار تقريبا. إنها نقطة في بحر.

فحينما انهار بنك «ليمان براندرز»، عقدت مجموعة العشرين للمرة الأولى على الإطلاق اجتماعا على مستوى رؤساء الدول في أكتوبر ٢٠٠٨. وبحلول إبريل ٢٠٠٩، كان قد تم الاتفاق على اقتراح بتخصيص لحقوق السحب الخاصة. واليوم، العالم في حاجة إلى نفس هذه النوعية من القيادة. نحن في حاجة إلى تخصيص جديد لحقوق السحب الخاصة ومناقشة سبل توزيع حقوق السحب الخاصة غير المستخدمة لزيادة السيولة المتاحة للبلدان منخفضة الدخل وكذلك البلدان متوسطة الدخل التي تواجه مصاعب.

مجلة التمويل والتنمية: عندما نستعرض جهود تخفيف أعباء الديون في الماضي، ما الأمور التي ينبغي أن نأخذها في الاعتبار اليوم؟

تريفور مانويل: سوف نحتاج في وقت ما إلى مناقشة مسألة تخفيض الدين، على غرار المبادرة المشتركة بين صندوق النقد الدولي والبنك الدولي لتخفيف أعباء الديون التي انطلقت عام ١٩٩٦. وإذا نحينا جانبا الجدول الدائر حول ما إذا كانت هذه الأوضاع قابلة للاستمرار أم لا، فقد عادت بالنفع على عدد من البلدان. والفرق بين ذلك الوقت والآن هو تمكن عدد أكبر بكثير من البلدان النامية من الوصول إلى أسواق رأس المال. وهناك بلدان في أمس الحاجة إلى تخفيف أعباء الديون لكنها تخشى انخفاض تقدير جدارتها الائتمانية متى تقدمت للحصول على هذه المساعدة - إنها معضلة تستعصي على الحل.

مجلة التمويل والتنمية: لقد نشأت في مدينة معزولة بمنطقة فقيرة - وهو واقع كان من شأنه أن يشكل حياتك المهنية ضمن حركة المقاومة في مدينة كيب تاون، فانتهى بك الأمر في السجن. ما هو الدافع وراء مواصلتك للكفاح وكيف لم تتغير طبيعتك عندما انتقلت إلى مجلس الوزراء؟

تريفور مانويل: لم أكن لأترك الظروف تتحكم في مصيري. لقد كان لأمي دوما وجود في حياتي عندما كنت أمر بأي ظرف صعب. وقد قلت في جنازتها العام الماضي إنني كلما كنت أعرض الموازنة، كنت دائما أبحث عنها بين الحضور. وكان أكثر ما يهمني هو معرفة ما إذا كانت قد فهمت ما كنت أقول. فيمكنني أن أتحدث في موضوعات «علوم الاقتصاد» ولكن ما الجدوى من ذلك إذا لم يستطع الناس المتأثرون بها أن يفهموا ما الذي تعنيه بالنسبة لهم؟ وهذا هو المهم في الحياة - إنهم الناس. فلا يسعك أن تخذلهم. **FD**

أجريت تعديلات تحريرية على نص هذه المقابلة لمرعاة الطول المناسب والوضوح.

ما تفشى الفساد. وربما كان نفس الحزب هو الذي يمسك بزمام السلطة، لكنه كان بلدا مختلفا تماما.

مجلة التمويل والتنمية: خرجت جنوب إفريقيا من العزلة الدولية لتصبح واحدة من أكبر الأسواق الصاعدة المباشرة بالخير على مستوى العالم، ولكن أداءها في السنوات الأخيرة كان قاصرا مقارنة بالبلدان النظيرة. فما الذي أودى بها إلى هذا الحال؟

تريفور مانويل: إن ٦٠٪ من أعضاء اتحاد نقابات العمال في جنوب إفريقيا هم على الأغلب من موظفي الحكومة. وإذا قارنا بين سلالم رواتب الموظفين العموميين في جنوب إفريقيا ونظرائها من الأسواق الصاعدة على أساس متوسطات تعادل القوى الشرائية، سنجد أن أداءها جيد نسبيا. ولكن هذا الأمر يستنفد موارد الدولة.

وكثيرون ممن كانوا يعملون في الخزانة عندما كنت وزيرا لم يعودوا موجودين لأنهم كانوا يحصلون على أجور مجزية للغاية. وكانت روح الفريق هي التي تدفعهم للعمل - وتلك هي الطريقة التي تمكّنك من الدفع نحو التغيير. فعندما نتحمل المسؤولية معا ويمكننا الاتفاق على جدول أعمال ليس مدفوعا بمجرد أيديولوجيات، تصبح لديك مؤسسات قادرة على الصمود مهما تغير الوزراء. والأيديولوجية المحضّة هي أكبر معوقات التحول في جنوب إفريقيا.

مجلة التمويل والتنمية: لقد عانى بلدكم كثيرا من عدم المساواة. فما الذي يمكن فعله بشكل مختلف؟

تريفور مانويل: إن توفير شبكة أمان اجتماعي يكتسب أهمية بالغة - فهي معطلة بشكل كبير في جنوب إفريقيا - وهو ما يعني إعادة فحص العناصر التي تشكل «الأجر الاجتماعي» بصفة مستمرة. والمسألة ليست مجرد توفير إعانات البطالة. وإنما هي تتعلق بما إذا كان نظام الرعاية الاجتماعية يعود بالنفع على من هم أشد احتياجا. وتتعلق بجودة التعليم والرعاية الصحية، وما إذا كان الناس يحصلون على مياه نقية وعلى خدمات الصرف الصحي وجمع النفايات.

فهناك طالب في المرحلة الثانوية يعيش في تجمع سكاني غير رسمي يسمى كوسوفو تخرج العام الماضي وحصل على ٩٩٪ في مادة الرياضيات، و١٠٠٪ في مادة الفيزياء. ومجمع كوسوفو يسجل أعلى معدلات جرائم القتل على مستوى البلاد. وكانت طلقات الرصاص تنطير كل ليلة مروراً بكوخه وهو يستذكر دروسه. ولا يمكنك معالجة قضايا المساواة بدون تغيير البيئة التي يعيش فيها هؤلاء الطلاب. وتعريف رأس المال الاجتماعي ليس أمرا سهلا لكن يمكنك رؤيته في ثقة الشباب المتخرجين من نظام تعليمي ناجح - فهذا النظام يمكنهم من فعل الكثير.

مجلة التمويل والتنمية: تشير تقديراتكم إلى أن فجوة التمويل ستبلغ نحو ١٠٠ مليار دولار سنويا على مدى الثلاث سنوات القادمة في سياق مواجهة إفريقيا للجائحة. كيف ستغطي البلدان الإفريقية هذا النقص؟